

ظهور و تطور الصحافة الدينية في الجزائر أ/ الصحافة الدينية في الفترة الاستعمارية :

إن الصحافة كوسيلة إعلامية عصرية اكتشف غربى انتقل إلى العالم العربي في بداية القرن 19 مع الحملات الاستعمارية التي قامت بها فرنسا إلى مصر أولا ثم الجزائر ثانيا لتكون بذلك الجزائر ثاني بلد عربي يعرف الإعلام المكتوب أو الصحافة بعد مصر ، إذ جلب نابليون معه مطبعة و هيئة تحرير تمكنه من إصدار جريدة تعمل على رفع معنويات جنود الغزو ، و عليه فقد كانت بداية الصحافة في الجزائر استعمارية ، صادرة باللغة الفرنسية ، و يشرف عليها فرنسيون و تتلخص رسالتها في خدمة الاستعمار الفرنسي و محاربة كل مقاومة له .

حتى الصحافة العربية في الجزائر أي تلك التي كانت تتخذ من العربية لسانا لها تنطق به بدأت « بداية استعمارية بحثة » و نعتبر جريدة المبرش " أول ما عرف الجزائريون من الصحافة العربية في بلادهم ففي سنة 1847 أمر الملك الفرنسي " فيليب " بتأسيس هذه الصحيفة ، التي لم يكن صدورها باللغة العربية تقديرا لها و لكن لكونها اللغة الوحيدة التي يفهمها الشعب الجزائري آنذاك قبل ان تجرى عليه عملية الفرنسية فأصدرت السلطات الاستعمارية هذه الصحيفة الرسمية ، ليطلع عليها الجزائريون في صفحاتها على التعاليم و القوانين الصادرة من الولاية العامة .

و يرى الدكتور " زهير احدادن " إن الميزة الأساسية في الصحافة الجزائرية في وقت الاستعمار أنها صحافة سياسية أو ثقافية إسلامية .

إلا انه لم تكن هناك إشارة للمجلات الدينية الإسلامية في فترة الوجود الفرنسي في الجزائر ، حيث اكتفى الجزائريون بإصدار مجلات ثقافية متنوعة و التي احتوت بعض أعدادها على مقالات دينية كمجلة " الشهاب " التي أصدرها الإمام ابن باديس و يجدر بنا الإشارة إلى نقطة هامة متمثلة فيما نشر إبان الفترة الاستعمارية سواء من صحف أو مجلات كان من طرف الفرنسيين ، إلا أن الجزائريين ساهموا بشكل أو بآخر في دعم حركة النشر الإعلامي بالوطن العربي من خلال مساهماتهم و إصداراتهم و في هذا الصدد يكتب الدكتور " صالح خرفي " مبررا بأنه في أوائل القرن 20 يلعب اسم " السعيد الزواوي " أو " أبو يعلى الزواوي " في صحافة الدين الإسلامي شرقا و غربا ، و يذكر لنا أيام لجوؤه إلى مصر في الحرب العالمية الأولى بأنه حرر جريدة " المؤيد " بالقاهرة ، و وردت الإشارة إلى ذلك في العدد 143 لسنة 1929م من مجلة " الفتح " في مقال له بعنوان « كتاب مفتوح إلى المسلمين كافة » بإمضاء الزواوي (بالإضافة إلى عدة أقلام جزائرية أخرى ساهمت في الساحة الإعلامية المصرية أمثال " الشيخ إبراهيم اطفيش " التي انتقل من الجزائر إلى تونس دارسا ، لكن السلطات الاستعمارية سرعان ما نفته إلى مصر و ذلك بسبب نشاطه السياسي في الحزب الحر الدستوري الذي كان يتزعمه عبد العزيز الثعالبي و كان اطفيش صاحب مجلة " المنهاج " بالقاهرة .

ومن جهة أخرى فقد أصدر الشيخ " محمد الخضر حسين " الجزائري الأصل مجلة " الهداية الإسلامية " و ذلك عام 1928 و هي صادرة عن جمعية الهداية الإسلامية التي أسسها في القاهرة محمد الخضر حسين و كان هو رئيسا لها .

وتجدر الإشارة بعد ذلك إلى أن حكومة الاحتلال الفرنسية كانت تشدد الرقابة على دخول عناوين الصحافة الدينية الإسلامية في الجزائر ، و وصل بها الأمر إلى حد إصدار قرارات الحجز و المنع من الدخول .

ففي سنة 1927 كانت هذه الحكومة قد أصدرت قرارا بمنع دخول مجلة " المنهاج " إلى الجزائر ، و لم يسمح لمجلة " الفتح " بدخول الجزائر إلا بعد سنوات من صدورها ، فقد بدأ توزيع مجلة " الفتح " في تلمسان و قسنطينة في سنة 1929 و هي السنة الرابعة . وقبل ذلك كانت حكومة الاحتلال الفرنسي قد منعت أيضا جريدة " المؤيد " لصاحبها الشيخ " علي يوسف " من الدخول إلى الجزائر بقرار إداري صدر 1900/08/20م و بالرغم من الرقابة الصارمة ، فإن تلك الصحف لم تعدم طريقها إلى الجزائر ، بل إن الصحافة الجزائرية زخرت بالمقالات المنقولة عن كبريات الصحف العربية و تتجلى " المنار " في طليعة هذه الصحف للشيخ محمد رشيد رضا و التي كانت تنشر أفكار الشيخ "محمد عبده" و اللواء مصطفى كامل و...

و عليه فكما عرفت الجزائر دخول العناوين من الصحافة الإسلامية إلى أراضيها من بلدان عربية مختلفة ، فقد عرفت أيضا صدور صحافة إسلامية بأراضيها قبل الاستقلال و سنحاول معالجة هذه النقطة بإسهاب .

و قد وجدنا أن تسمية الصحافة الإسلامية التي استخدمها بعض الباحثين الذين اهتموا بتاريخ الصحافة الجزائرية ، تعني لديهم تلك الصحافة غير الاستعمارية التي كان يشرف على إصدارها و تحريرها المسلمون الجزائريون ، و كانت تهتم بشؤون المسلمين .

و من هؤلاء الأستاذ "الزبير سيف الإسلام" الذي يرى أن الصحافة الإسلامية في الجزائر هي الصحافة العربية التي تهتم لمصالح العرب الجزائريين أو بالأحرى العناوين الإصلاحية التي ظهرت قبل جمعية العلماء المسلمين ، فكانت المنتقد للعلامة عبد الحميد ابن باديس أول جريدة تصدر في هذا المجال بتاريخ 02 جويلية 1925 و خلال السنة نفسها اصدر رائد الصحافة الجزائرية الشيخ محمد السعيد الزاهري جريدته " الجزائر " .

و جريدة "الشهاب " سنة 1925 لابن باديس و التي تحولت من شهر فيفري 1929 إلى مجلة رائدة (و الحق) ببسكرة للشيخ علي موسى العقبي . و مجلة "المعيار" سنة 1932 بالجزائر العاصمة لمصطفى هراس التي اتخذت من الآية الكريمة « إن الأبرار لفي نعيم و إن الفجار لفي جحيم » و تعني بالأبرار "الطريقين" بينما " الفجار " فهم زعماء الإصلاح من جمعية علماء المسلمين . ثم جريدة " السنة " بقسنطينة و هي أول جريدة تصدرها جمعية العلماء المسلمين عام 1933 تليها " الشريعة " و " الصراط السوي " في نفس السنة ، إضافة إلى صحيفة " الجحيم " في سنة 1933 و قد أصدرتها مجموعة من الشباب الإصلاحي و في سنة 1935 صدرت " البصائر " لجمعية علماء المسلمين الجزائريين ، و تعد رائدة الصحف العربية الصادرة قبل الاستقلال .

بينما يرى الدكتور زهير احدادان في كتابه " ببليوغرافيا الصحافة الجزائرية " بأن الجرائد الإسلامية لم تظهر إلا سنة 1882 و هي سنة صدور جريدة " المنتخب " بقسنطينة و التي ادخلها الدكتور احدادان فيما اسماه بالصحافة الفرنسية التحريرية أو صحافة أحباب الأهالي « و ميزتها أن يقوم بتحريرها صحفيون فرنسيون و مسلمون معا ، و أنها تتجه إلى السلطات الفرنسية و المسلمون معا ، و أنها تحتوي المسلمون ، و تعتبر جريدة المنتخب القسنطينية أول جريدة ظهرت من هذا النوع ... » .

و حسب الكاتب ذاته ، فان الآخر من الصحافة الإسلامية الجزائرية يتمثل كما قال الدكتور احدادن في «الصحافة الأهلية، و هي جميع الجرائد التي كان يشرف عليها المسلمون الجزائريون يعني أنهم سواء كانوا محافظين على ميزتهم الإسلامية أو اعتنقوا الجنسية الفرنسية ، و سواء كانوا يكتبون باللغة الفرنسية أو اللغة العربية ، على شرط أن تهتم جريدتهم بشؤون المسلمين و الصحافة الوطنية و الوطنية كحركة منتظمة لم تظهر إلا بعد سنة 1930 ، و أول جريدة قامت بالتعبير عن هذا المطلب الأساسي هي جريدة " الأمة " ، أما الجرائد الإسلامية السابقة على هذا التاريخ ، فإنها كانت تتكلم عن وجود الأمة الجزائرية ، غير أنها كانت تمتنع عن الإشارة الوطنية الجزائرية و عن اعتبار الأمة الجزائرية مستقلة عن الوجود الفرنسي».

و تجدر الإشارة إلى أن بعض الدارسين الفرنسيين الذين تناولوا في كتاباتهم أو أحاديثهم عن الصحافة الجزائرية، استخدموا للتعبير عن هذه الصحافة التي يمارسها الجزائريون لا الأجانب الفرنسيون مصطلح " الصحافة الإسلامية " و من هؤلاء الذين ذكرهم الدكتور زهير احدادن ، نجد "القبطان و ينذر" الذي درس الصحافة الإسلامية و أعطى معلومات دقيقة عن المشرفين عنها ، و عن عدد النسخ المحسوبة بالنسبة إلى كل جريدة ، و تشمل هذه المعلومات الصحافة المكتوبة بالفرنسية و المكتوبة بالعربية ، غير أن هذه الدراسة تهمل الصحافة الوطنية ، كما أنها لا تذكر شيئاً عن النشاط الصحفي لابن باديس و أبي اليقظان مثلاً .

كما نجد شارل روبير اجرون الذي يخصص في الجزء الثاني في كتابه الخاص بتاريخ الجزائر من 1870 إلى 1919 و الذي يحمل عنوان « الجزائريون المسلمون و فرنسا » العديد من الصفحات لتطور الصحافة الإسلامية من 1907 إلى 1919 و للدور الذي لعبته في تكوين الفكر السياسي ، و ذلك بتحليله للاتجاهات المختلفة التي سارت ضمنها هذه الصحافة ، معتمدا خاصة على الصحافة المكتوبة باللغة الفرنسية .

و هذا بالإضافة إلى كلود كولود الذي نشر عام 1969 مقالا في مجلة كلية الحقوق بالجزائر تحت عنوان « النظام القانوني للصحافة الإسلامية في الجزائر» ليتضمن دراسة فريديو للوضع القانوني الذي عرفته الصحافة الإسلامية في الجزائر قبل سنة 1969 و يرى المؤلف أن هذا الوضع مر على ثلاث مراحل :

- 1- من 1881 إلى 1925 كانت الصحافة الإسلامية تتمتع بحرية محدودة .
- 2- من 1925 إلى 1947 في هذه المرحلة كانت السلطات تميز بين الصحافة المكتوبة بالفرنسية و بالصحافة المكتوبة بالعربية و كانت تعتبر هذه الأخيرة أجنبية .
- 3- من 1947 إلى 1962 في هذه المرحلة أخذت السلطات الاستعمارية تضطهد الصحافة الإسلامية كلها خشية أن يكبر شأن الحركة الوطنية .

و مما سبق ذكره يمكن لنا أن نستنتج العلاقة بين مصطلح الصحافة الإسلامية الجزائرية و بين ترجمة هذا المصطلح عن الفرنسيين للدلالة على غير الصحافة الخاصة بالإدارة الاستعمارية الفرنسية الصادرة بالجزائر .

كما يمكن لنا أن نستخلص مما سبق قوله ، الاتفاق بالصحافة الإسلامية الجزائرية ، تلك الصحافة التي كانت تهتم بشؤون الشعب الجزائري المسلم ، و كان يصدرها الجزائريون سواء كانوا محافظين على ميزتهم الإسلامية أو اعتنقوا الجنسية الفرنسية .

فالمعروف أن الجزائر واجهت خلال الاحتلال الفرنسي معركة ضخمة من معارك التغريب، كان أبرزها منصبا على المقومين الأساسيين للشعب الجزائري و هم الإسلام و اللغة العربية .

و تجسدت حركة التغريب خاصة في الحركة التنصيرية التي سمحت لفرنسا بإنشاء مؤسسات و مستشفيات و معاهد و برز اسم "الأباء البيض" في الجزائر و ذلك بعد إنعقاد مؤتمر «الافخار ستي» بتونس، إذ انطلق بعده جيش من المبشرين- المنصرين ، في تونس و الجزائر و المغرب.

و قد أكد عثمان العكاك (تونس) في هذه المؤامرة التنصيرية أن الفرنسيين استعملوا جميع العلوم الإبادية لإبادة الجزائر و قال : « إن محنة الجزائر أشد المحن ، الحرب لم تنقطع 1830 إلى 1956 و أن الحرب لم تكن ضد الأجسام ، بل كانت حربا في العقيدة قام بها " لافيغري " و شيعة الأباء البيض ، حربا على الثقافة الإسلامية العربية قامت بها جامعة الجزائر و إدارة التعليم و صليبية " هانوتو " ضد اللغة العربية لفائدة اللهجات البربرية ، و حربا في إنتزاع الأرض ، و حربا ضد المعالم الإسلامية فقد تحولت مئات الجوامع إلى كنائس و مصليات يهود ، و حربا ضد أسماء المدن الجزائرية التي حولت إلى أسماء و قادة فرنسيين ، و حربا ضد الجنسية الجزائرية ، فقد أصدرت فرنسا أمرا بأن جميع الجزائريين فرنسيون ، و حربا ضد الجنس الجزائري بغية إبادته و تسليط فريق ضد فريق ... »

و من ثم فقد تمثلت حركة التغريب في الفرنسية و التجنيس و الإذابة و الإدماج و محاربة الدين الإسلامي و اللغة العربية و التاريخ الجزائري ، و كانت نتيجة ذلك أن الجزائر مع بداية القرن العشرين « وصلت إلى منحرج خطير في حياتها الدينية و الفكرية بين عقيدة شوهتها الأضاليل ، و تسلط المستعمر عليها و جردها من براءتها الأصلية».

و الواضح أن الصحافة الإسلامية الجزائرية لم تكن بعيدة عن الإسلام ، و لم تكن تدعوا إلى الاندماج و الفرنسية ، بل كانت تساهم في تثبيت القيم و المبادئ الإسلامية في نفوس الجزائريين و تعبر عن روح المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي ، الذي قام طيلة الاحتلال بمحاولة القضاء على المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية ، و ذلك قصد فرنسة الجزائر فرنسة كاملة فكرا و لغة و ثقافة و نهج حياة . و تنصير الجزائريين عقيدة و ، إدماج الجزائريين إدماجا كاملا في الكيان الفرنسي .

و عليه فقد عملت الصحافة الإسلامية الجزائرية على محاربة السياسة الفرنسية و التنصير و الاندماج ، و انقاد الجزائريين من برائن الطرقية ، و محاربة البدع و الخرافات ، و التعريف بالإسلام الصحيح ، و إحياء اللغة العربية ، ثم تعميق الانتماء الوطني و تفعيل فكرة الوطن و الوطنية ، و كانت هذه الصحافة تناولت إلى جانب الإصلاح الديني الاجتماعي، الأدب و الفكر و الثقافة و السياسة ، و كانت أداة فعالة في أيدي رجال الإصلاح بعد أن أمنوا بجدوى الصحافة في إيقاظ الأمة و دورها الفعال في بث الوعي بين صفوفها .

هذه الأسباب كلها لم تسمح بنشر و تواجد مجلات دينية إسلامية متخصصة أثناء الفترة الاستعمارية من شأنها التطرق و التناول للمواضيع الدينية المتخصصة ، فالوقت إذن لا يسمح لمثل هذه الدراسات و الكتابات المتعمقة نقصد به وقت الخرافات و البدع و الأفكار الضالة .

ب/ الصحافة الدينية الإسلامية بعد الاستقلال:

عرفت الجزائر بعد الاستقلال صحافة إسلامية عامة تصدرها في الغالب جهات حكومية مثل وزارة الشؤون الدينية من خلال عناوينها التالية مجلة المعرفة (1963-1965) ، مجلة القبس (1966) ، مجلة الأصالة (1971-1981) ، الرسالة (1970-1981) ، العصر (1971) للإشارة فإن المعرفة تعتبر أول مجلة إسلامية صدرت بعد الاستقلال الوطني ، بالإضافة إلى مجلات جمعية العلماء المسلمين كالبصائر-الشهاب كمجلات صادرة عن جمعيات إسلامية في الجزائر .

كما عرفت الجزائر الصحافة الإسلامية بعد الاستقلال من خلال عناوين مجلات وزارة الشؤون الدينية و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أخذت في غالب الأحيان طابع الصحافة الرسمية ، إلى أن جاءت أحداث أكتوبر 1988 و دستور فيفري 1989 الذي سمح بتأسيس الجمعيات ذات الطابع السياسي ، و فتح المجال للتعددية الإعلامية ، خاصا و حزبيا من ضمنها عناوين الصحافة الإسلامية التي عرفت انتشارا واسعا و قبولا كثيرا لدى عموم الشعب الجزائري الذي استجاب لمثل هذه الصحافة .

و قد تجسدت هذه الصحافة الإسلامية في جرائد أسبوعية و مجلات شهرية و تمتلك ابرز المجلات في (الإرشاد) و هي مجلة إسلامية شاملة كانت تصدر عن جمعية الإرشاد والإصلاح بالجزائر العاصمة وهي تعد أهم المجلات الإسلامية من حيث المقرئية و أوسعها انتشارا إذ كانت تسحب ما بين (100 و150) ألف نسخة شهريا و توزع بالإضافة إلى الجزائر في (75 دولة) عبر القارات الأربع : إفريقيا وآسيا و أوربا و أمريكا و قد صدر عددها الأول في شهر جمادى الأولى 1410 هـ الموافق إلى ديسمبر 1989

كما تمثلت في (التذكير) و هي المجلة التي كانت تصدر عن جمعية التذكير بمسجد الجامعة (جامعة الجزائر) ، و هذا بالإضافة إلى (النهضة) و هي مجلة إسلامية ثقافية عامة ، كانت تصدر بقسنطينة عن جمعية النهضة و الإصلاح الثقافي و الاجتماعي و قد صدر عددها الأول رجب 1410 هـ الموافق فيفري 1991.

و قد كانت هذه المجلات الإسلامية ، من بين العناوين الإعلامية الجزائرية التي تضررت من الأزمة السياسية الجزائرية الخطيرة ، التي طفت بوادرها على السطح صيف عام 1991 و تجذرت في الشتاء الموالي و ذلك إما بالتوقف الاضطراري أو بالتعليق الإداري .

و هو الأمر الذي جعل التيار التغريبي مع سنة 1992 يبرز بقوة من خلال الصحافة المكتوبة خاصة و مثل هذه الحقيقة يعالجها الدكتور "فضيل دليو" أستاذ علم الاجتماع و الاتصال بجامعة قسنطينة في دراسته التي تحمل عنوان « الصحافة المكتوبة في الجزائر بين الأصالة و الاغتراب » و فيها يؤكد أن الفئات المتفرنسة ثقافيا ما فتئت تعمل بنجاح على إحكام سيطرتها على الصحافة المكتوبة في الجزائر خاصة بعد عام 1991 مما جعل الجزائر تعيش الآن وضعا إعلاميا اغترابيا كما و كيف لا يعبر عن تعددية حقيقة الرأي و انعكاس طبيعي للرأي العام الغالب .

و في ظل هذا الوضع الإعلامي الاغترابي صدرت عناوين لمجلات دينية و إسلامية متخصصة .